خاتمة البحث

إن دراستي للاتجاهات الوطنية والقومية والدينية، وما يتصل بها من جوانب اجتماعية واشتراكية وفنية كشفت بعض الجوانب المهمّة التي لم يحظ بعضها باهتمام الدارسين من قبل، ولم يتّضح بعضها الآخر كما أوضحته في بحثي هذا.

إن هذا البحث تناول فترة خصبة من تاريخ الشعر الفلسطيني المعاصر، ألا وهي الفترة الممتدة بين سنتي ١٩١٨ و١٩٦٨م، هذه الفترة التي ظهرت فيها اتجاهات وجوانب تحتوي على معالم الإبداع الحقيقية ذات الجذور التراثية والاجتماعية، وكان للأحداث المتوالية والكفاح والتضحيات أثر كبير فيها، ولذلك أرى أن هذا البحث يتّسم بأهمية خاصة في هذا الظرف بالذات، لأنه جاء بحثاً أدبياً شاملاً، ومحيطاً باتجاهات هذا الشعر وما يتصل بها من جوانب مختلفة، وما تستحقه من عناية، وفضلاً عن ذلك فإني أردته أن يكون خلاصة لسلسلة أبحاث في بحث واحد.

وكان لزاماً عليّ أن أَصلَ بين الغد المؤمل والماضي والحاضر الحافلين بالنضال والعطاء، كي يستنير موكب الأدب والنضال بهدي الأدباء والمناضلين، ولذلك حاولت سبر أغوار هذا الشعر بدافع من إيماني بأن البحث العلمي في عصرنا هذا جزء مهم من الحياة الثقافية، وسلاح قويّ

يقتحم به الباحث ماضي أمته ومستقبلها بثورة متحررة، منفتحة، ونهضة مباركة، تدفعنا في ركب الحضارة الإنسانية العظيم.

ومن هنا فإن الأدب ـ شعراً ونثراً ـ سلاحٌ فعّالٌ يخدم الإرادة الثورية، ويبدو دوره جلياً في المجالات المختلفة...

وفي ما يلي خلاصة لأهم ما قمت ببحثه وما توصلتُ إليه:

١ ـ قدّمت في التمهيد لمحات عن فلسطين موقعاً وتاريخاً وأحداثاً، بغية التعرف على تاريخها العربي الإسلامي، والإشارة إلى أهميتها، وأبرز ما شهدته من أحداث خلال فترة البحث، ممّا كان له أثر كبير في حركة الشعر الفلسطيني المعاصر، وبذلك تتّضح العوامل المؤثرة في هذا الشعر.

٢ ـ ثم اكتشفت أن الشعر الوطني الفلسطيني يشكل مدرسة في الوطنية والفداء والتضحية، حيث انبرى الشعراء للذود عن الجماهير والوطن، وتمرّسوا مع المواطنين في الفداء والتضحية.

ويبدو لي أن الشعر الوطني والقومي والديني والاشتراكي والاجتماعي في فلسطين شعرٌ رائد في الوطن العربي، يمتاز بالقوّة والموضوعية وعمق التجربة، وقد أطلّ من خلاله على العالم العربي أدب ينبض بالحياة وتلاحم الكلمة بالبندقية.

٣ ـ وجدت أن قسماً كبيراً من الشعر الفلسطيني يُعدّ شعراً مقاوماً ومقاتلاً، ذلك أن الشعر المقاوم والشعر المقاتل هو الذي يُولد في أرض المعركة، وهو يفعل فعل الرصاصة، فينبّه الجماهير إلى المؤامرات والمخاطر، ويدعو إلى التصدّي لها، والصمود والصبر، ورفض الذلّ والرضوخ والإذعان، ويستنهض الهمم للوحدة والتعاون، وإعداد العدة والقتال والفداء وتحرير الوطن. وقد قام الشعر الفلسطيني بهذا الدور،

وتعرّض لكل قضية واجهتها البلاد. وإذا كان نقد واكب الأحداث، فإنه بات سجلاً وافياً لها، ولم يخلُ من تاريخ العرب السابقين، ولا من الفنون الشعرية الأخرى.

٤ ـ أثبتُّ أنه كان للأدب الفلسطيني والقضية الفلسطينية أثرٌ بالغٌ في بعث الوعي الوطني، وتنشيط أعمال الجامعة العربية، وأعمال المجامع الأدبية، وتحرر الشعوب العربية، وفي طليعتها شعب الجزائر المناضل، وإدراك العرب لأهمية الوحدة، إذ نشأت وحدة بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨، وعُقِدت مؤتمرات قمّة عربية، وَدُحرت مشاريع ومؤامرات للامبريالية على الأمة العربية، منها حلف بغداد، ومشاريع توطين الفلسطينيين في البلاد العربية.

٥ ـ أَطْلَعْتُ على تأثير نكبتيّ ١٩٤٨ و١٩٦٧ في الشعر الفلسطيني خاصة والعربي عامة، ووجدت أنه نتيجة لذلك اشتعلت عواطف الشعراء العرب كافة بالنكبتين، وسائر الأحداث المترتّبة عليهما، وأصبح ذلك مصدر وحي والهام للشعراء، فتفجّرت في قلوبهم ينابيع الشعر، وأبرزوا صداهما في نفوسهم، فعَرَضوا أسباب النكبتين، ورسموا الطريق لحلّ قضية فلسطين من الناحية الفكرية والوطنية بطريقة موضوعية. وأتخذوا منهما درساً، فدعوا الأمة للتنبّه إلى المؤامرات على العرب، وأيقظوا الوعي، وحذّروا الأمة من الخطر الصهيوني الذي بات يُهَدِّدُ العرب جميعاً. وحذّروها أيضاً من أهداف الإمبريالية في الوطن العربي، ودعوا العرب إلى التعاون واستعادة فلسطين في جولة ثانية، وشجّعوهم على إعداد الجيوش والأسلحة الفتّاكة، وفضلاً عن ذلك أوضحتُ أن هموم الشعراء العرب تبقى مشتركة، وأن شعرهم يواكب الأحداث التي تشهدها بلادهم، يؤثر فيها، وفي مفاهيم الجماهير، ويسعى إلى تغيير مجرى التاريخ وأحوال الأمة...

وأشتد اهتمام الشعراء بالنزعات الإنسانية، فدعوا إلى تحقيق العدل، ومكافحة الظلم والفساد والعدوان، وبيع الضمائر والنفوس، لأن الظلم لا يدوم، وأن الإهمال يؤدي إلى الكارثة.

ولم ينسوا تصوير الأحداث والمعاناة، وألوان الشجاعة والبطولة والتضحيات.

٦ ـ أوضحتُ أن أحداث فلسطين وثورة شعبها قد مهّدت السبيل إلى حدوث تغييرات شعرية فنيّة في شكل ومضمون الشعر العربي عامة والفلسطيني خاصة، وقوّت الاتجاهات الموضوعية والجماهيرية، وأضعفت الاتجاهات الشخصية الذاتية، وأصبحت مادة مهمّة تُثري الشعر وتُكسبه دوراً بارزاً وأهمية خاصة، وحمّلت هذا الشعر أعباء قضية تاريخية، سياسية معقّدة، وربطت نضال الشعب الفلسطيني بنضال الشعوب العربية.

٧ ـ قدّمتُ الدلائل الواضحة على التزام شعراء فلسطين بقضايا وطنهم العربي عامة وفلسطين خاصة، فضلاً عن قضايا الجماهير وشؤونها وشجونها. ومن خلال ذلك دلّلتُ على الدور الكبير الذي أسهم به شعراء فلسطين، ليس في تشخيص الداء ووصف الدواء وحسب، بل في حركة الشعر من جهة، وفي اتجاهات الشعر من جهة ثانية، وانتهيتُ إلى أن معظم شعراء فلسطين هم شعراء مقاومة وقتال في معركة مستمرة، وعرضتُ لوقائع مشاركتهم في المظاهرات والمعارك والثورات ـ منها معركة الشجرة التي تقدمها الشاعر الضابط الشهيد عبد الرحيم محمود ـ وسدّدوا أسهمهم إلى أعداء وطنهم، ولهذا أيضاً استشهد كمال ناصر، ولاقى آخرون من جرّاء ذلك ـ وفي مقدمتهم شعراء الأرض المحتلة ـ الاعتقال وصنوف التعذيب والاضطهاد والطرد من العمل والإقامة الجبرية، ورغم ذلك ظلّوا في الخطوط الأمامية

يتصدّون للعدو، ويرفضون المكاسب الشخصية على حساب الوطن، ويدعون إلى صمود العرب في الأرض المحتلة، ويصوّرون مظاهر الظلم والأحزان، والمؤامرات، ويدعون إلى القتال والتحرير، ومن هنا حقّ للمناضلين من هؤلاء أن يُعَدّوا شعراء مقاتلين، وأن يُعَدَّ شعرهم مقاتلاً، لأن تأثيرهم بات يوازي الرصاص، لا سيّما وأن المعركة لا تقوم بالبندقية وحدها، وهذا ما يدركه العدو أيضاً، ولهذا يقاوم الكلمة وينكّل بشعراء الأرض المحتلة...

ومن هنا أدركتُ أن الشعر الفلسطيني شعرٌ ملتزمٌ قضايا الوطن والجماهير...

٨ ـ تبيّن لي أن شعراء فلسطين استطاعوا بفضل جهودهم المشار إليها تأجيل نكبة عام ١٩٤٨، حيث كان يتوقع حدوثها قبل ذلك، ولكنهم لم يستطيعوا إلغاءها، لأسباب تفوق قدراتهم وإمكاناتهم، ولعظم المؤامرة، وأنهم وحدهم لم ولن يستطيعوا تحرير وطن اغتصبته الصهيونية الباغية تدعمها قوى الامبريالية كافة...

٩ ـ وإذا كنت قد حدّدت مفهوم كل اتجاه وسمّيت أبرز شعرائه، وعرضت نماذج مهمة منه في أبرز الموضوعات التي تناولها الشعراء، وحلّلتها، وبيّنت أهمية الشعر في هذا الاتجاه أو ذاك، ودوره الكبير في قضايا الوطن والجماهير، فإني قد برهنت على غزارة هذا الشعر، واستنتجت أن شعراء فلسطين غنّوا وطنهم وقضيتهم وثورتهم وجعلوها همّهم الرئيسي، وحدّدتُ مميزات الأدب الفلسطيني وشعراء فلسطين، ومن ذلك أن شعراء المقاومة رفضوا القبول بالهزيمة والتسليم بالواقع، واحتجوا على المؤامرة، وترك فلسطين وأهلها فريسة للأعداء، والاكتفاء في مداواة الشعب الجريح بالكلمات المعسولة، والمساعدات البسيطة، إذْ ليس في ذلك حلّ لقضية، ولا تحرير لوطن.

وبذلك أصبح شعر المقاومة تثويرياً وهجومياً، ويبدو هذا جلياً في متن البحث. وقد وجدت في شعراء المقاومة من يخفّف على النفوس مرارة هزيمة ١٩٦٧، ويخاطب الجماهير، وينير عقولها، ويلبّي حاجاتها ورغباتها في الكلمة الصادقة، المتدفقة بالعاطفة، سواء في رفض الهزيمة أو الدعوة إلى الصبر والصمود، واتّضح لي أن شعر المقاومة كان أقوى العوامل التي جدّدت ثقة العرب بالوصول إلى حقّهم، وأحيا في نفوسهم شعلة الأمل بغدٍ مشرقٍ سعيد، وفضلاً عن ذلك بيّنتُ أن الجوانب القومية والدينية والاجتماعية والاشتراكية في هذا الشعر تشكّل إغناء مهمّاً للشعر الوطني الفلسطيني خاصة، والشعر العربي عامة.

١٠ ـ أثبتُّ أن الشاعر الفلسطيني تفاعل مع قضايا الأمة العربية وأحداثها، ودعا إلى معالجتها بحكمة وإخلاص، فضلاً عن دعوته للأدباء العرب والهيئات الثقافية إلى توجيه عنايتهم إلى الفنّ والحياة معاً، بحيث يخضعون الفن للحياة، للوطن، للشعب، وألاّ يجعلوا «الفنّ للفن» فقط.

والواقع أن هؤلاء الشعراء أغنوا الأدب العربي بفيض من الشعر في مختلف المجالات التي عرضت لها، وجعلوا الشعر للحياة، للوطن، للجماهير، وليس للفنّ وحسب، وهم أعلامٌ بل مناراتٌ مشعّةٌ في هذه الميادين.

١١ ـ أوضحتُ أن شعراء فلسطين غَنّوا كفاح شعوب العالم وأكدوا تضامنهم معها في القصيدة والبندقية، ودعوا إلى مساندتها ومؤازرتها في مسيرتها لتحقيق أهدافها في التقدم والتحرير، مؤمنين أن مهمة الكفاح الثوري واحدة لا تتجزأ، وأن دور هذا الشعر سوف يزداد مع الزمن.

١٢ ـ وفضلاً عن ذلك فإنّي بيّنتُ كيف اعتمد عدد من شعراء فلسطين

ـ في طليعتهم شعراء الدعوة ـ على القرآن الكريم، فأولوه اهتمامهم واقتبسوا منه تعابير مهمة في واجب الجهاد وشروط لنصر، وهي تطفح بالموعظة والحكمة.

ومن جهتي أشرت إلى متطلبات النصر والتحرير، وأوضحت معنى الدعوة إلى الصلح وقبول الأمر الواقع دون استعادة الحقّ المغتصب، واستنتجتُ أن ما أخذ بالقوة لا يُسْتَرَدُّ إلا بالقوّة، وأكّدْتُ أن العودة إلى طاعة الله، وإعداد العدة للقتال، بالإضافة إلى الاهتمام بالعِلْم والأخلاق والتعاون، مراحل مهمّة وضرورية لتحقيق النصر، وأشرتُ إلى حاجة الأمة العربية إلى قادة ميامين أمثال خالد بن الوليد وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي.

١٣ ـ ويبدو لي أن شعراء فلسطين هم في طليعة الروّاد للاتجاهات الوطنية والقومية والدينية في الشعر العربي المعاصر، لا سيّما وأن التجربة والتمرّس والتروّض في إنشاد هذا الشعر قد أوجد منهم أعلاماً في هذه المجالات، وإن كان بعضهم مغمورين، وإني لأدعو من يجهل هذه الحقائق أو يتجاهلها إلى الاطلاع على الشعر الفلسطيني المقاوم والمقاتل، ودور الشعراء خلال فترة البحث، لعلّه يدرك حقائق مهمة، تدعو إلى الاطمئنان والإعجاب.

وإذا كان للحياة أن تزدهي بألحانها الرفيعة المعبّرة، فما أحرى الأمة العربية بأن تعتزّ بأدبائها وشعرائها المحسنين، وفي طليعتهم شعراء فلسطين.

١٤ ـ أوضحت دورَ المؤسسات الاجتماعية ودور المرأة الفلسطينية إلى جانب الرجل في مختلف الميادين، وفي مقدمتها: التربية والتعليم والجهاد ومعالجة المرضى والجرحى، وقرض الشعر، وبذلك أصبحتْ مبعث فخر واعتزاز.

١٥ ـ وماذا أقول عن الشجرة المباركة، أعني بذلك الشعب الفلسطيني

الذي تمتدُّ جذوره في الأرض المقدسة «المحتلة»، وتنتشر فروعه في أرجاء المعمورة؟

عندما خاطب اليهود النبي موسى (ع) يوماً اعترفوا بأن الفلسطينيين قومٌ جبّارون، يؤكد ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبّارين، وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون﴾[1]. وتشير الوقائع إلى أن الفلسطينيين كانوا رأس الحربة في معارك صلاح الدين ضدّ الصليبيين.

أما نضال هذا الشعب منذ مطلع هذا القرن فواضح كالشمس..، ويتردّد صداه في كل مكان.

ولم آت بجديد إذا كنت قد أستنتجت أنَّ هذا الشعب لم يترك مناسبةً مهمةً أو حادثةً بارزةً إلاّ وهبَّ مدافعاً عن الوطن، بكل وسيلة متاحة، ابتداء من الكلمة والحجر والعصا والسكّين، ووصولاً إلى البندقية والمدفع، فضلاً عن اعتماد أساليب أخرى أهمها: الاحتجاجات والمظاهرات والإضرابات.

وتوالت الانتفاضات والثورات في كفاحه ضد الصهيونية والقوى الامبريالية التي تدعمها.

واشتهر بقوة الإرادة، والإيمان بحقّه، والصبر على الشدائد، وشدَّة المراس والتروّض في النضال والقتال والفداء وتقديم التضحيات الجسام.

وأرى بتجرّد وموضوعية أن هذا الشعب هو شعب المبادىء والقيم والمروءات والكفاح والفداء، وهو في ذلك كلّه منارة مشعّة، وطالما تردّد القول بأنّه بات رائداً للشعوب في الكفح بعد أن انتزع إعجاب العالم....

(١) سورة المائدة، الآية ٢٢.

على أية حال إنه المَعِينُ الثرّ الذي لا ينضب، يمدّ الوطن بالشعراء والمقاتلين والفلاحين وغيرهم، ويعمّره، ويحرسه، ويفديه بمهج أبنائه.

١٦ ـ ويبدو لي أن الأسباب التي تحول دون تحقيق الشعب الفلسطيني لأمانيه رغم الكفاح الطويل والمرير يُعزى معظمُها إلى مُسَبِّبات خارجية أهمها: كثافة الدول التي تدعم الصهيونية، وعظمة إمكاناتها، وطمعها في أرضه وثرواته، ورغبتها في إطفاء نور الإسلام في هذا البلد، تمهيداً للوصول إلى غيره...، وجعل فلسطين قاعدة استعمارية في منطقة الشرق الأوسط، ورغبة العديد من دول العالم في إرضاء اليهود من جهة ـ لأسباب خاصة ـ وللتخلص من شرورهم وإضعاف نفوذهم في تلك البلدان من جهة أخرى.

أما الأسباب الداخلية فعديدة، وأهمها: تفكّك العرب وضعفهم، وعدم إعداد العدة اللازمة للمعركة وتحقيق النصر.

ويبدو لي أن قضية تحرير الأرض العربية المحتلّة باتت من أكبر القضايا التي يواجهها الأدب العربي عامة والفلسطيني خاصة، وأن تحقيق هذه الأمنية سيفتح الباب واسعاً أمام تطوّره في الشكل والمضمون.

١٧ ـ وعندما بحثتُ الجانب الفنّي في الشعر الفلسطيني بيّنت أنّ هذا الشعر قد تطوّر في الشكل والمضمون.

والواقع أنّ الشكل الفنّي لهذا الشعر قد تأثر بظروف فلسطين، ولكنه قد نما منذ نكبتي ١٩٤٨ و١٩٦٧، وظلّ تابعاً للشعر العربي، ولم يتجاوزه، وبفضل تجربة شعراء فلسطين فإن هذا الشعر بدأ مؤخراً يأخذ موقع الحوار، بدلاً من موقع التبعية والتقليد له.

وأرى أنه إذا ما فُكَّ الحصار من حول شعر المقاومة، ونضجت أدواته

الفنية، فقد يصبح وريثاً للحركة الشعرية على المستوى الفنّي، ويبشّر بذلك التطوّر الملحوظ في سماته، وهذا ما يؤهله لمركز متقدم.

وتبيّن لي أن المضمون ينمّ عن نضج كبير، وهو في ذلك يُعَدُّ مفخرةً للشعر العربي.

ومن الطبيعي أن يكون هذا الشعر قد عُنِي بالمضمون أكثر ممَّا عُنِي بالشكل، لأنه يشبه الجنديّ الذي يخوض معركة حامية... فيتزيّا بزيّها ويحمل السلاح المناسب، ولا يحفل كثيراً بالمظهر والزخرف والشكل ومظاهر الزينة المشهورة في الأفراح وحفلات الطرب والمجون. وليس معنى هذا أننا نؤيد إهمال الشكل في الشعر.

أ ـ ففي مجال الألفاظ والمعاني اتضح لي أن شعراء فلسطين استخدموا الألفاظ السهلة الموحية، المعبّرة عن المعاني المختلفة، وبسبب مخاطبتهم الجماهير باللغة التي تفهمها اضطروا إلى استعمال تعبيرات شعبية، تعود في أصلها إلى اللغة الفصحى.

ب ـ وجدت أن الأسلوب الخطابي غلب على هذا الشعر بعد النكبة الأولى عام ١٩٤٨، ثم تبعه الأسلوب التعبيري الثاني ـ الذي شمل الأسلوبين القصصي والرمزي ـ لأنه أطوع من الأسلوب الخطابي في الإيحاء والتأثير بوجهٍ عام.

ج ـ وفي مجال التصوير والخيال وجدت أن شعراء فلسطين استخدموا أشكالاً مختلفة من التعبير المتخيّل في نقل أفكارهم وعواطفهم إلى الآخرين دون مبالغة، بغية التأثير فيهم واستثارة عواطفهم، وبذلك ظلَّ التصوير ملوّناً بالعاطفة الصادقة.

واتضح لي أن التصوير والخيال في هذا الشعر قبل النكبة ظلاً يميلان

إلى الصور الشعرية الفردية في الغالب، بينما استلهم الشعراء صورهم الشعرية وأخيلتهم بعد نكبة ١٩٤٨ من واقع المأساة وهول أحداثها، وما نشأ عنها من شؤون وشجون. وقد شملت هذه الصور الصور الجزئية ـ من تشبيه وٱستعارة وكناية ـ والصور المركبة والكليّة، وكثرت التشبيهات في الصور الحسيّة والمجازية.

ومع انتشار هذا الشعر برزت أنماط شيّقة من التصوير والخيال.

د ـ وأشرتُ إلى أن شعراء الأرض المحتلة استخدموا الأغاني الشعبية في قصائدهم الاجتماعية بغية التأثير في الجماهير، وتوصيل الأفكار والتوجيهات إليها، فأصبح هذا الشعر وسيلة لربط الجماهير بتراثها، وٱستخدمه الشعراء كالشعر العمودي سلاحاً ضد العدو وأهدافه.

هـ ـ ولدى كشف جوانب التجديد والتطوّر في الشعر الفلسطيني أشرت إلى أن الشعر الكلاسيكي التقليدي كان هو الغالب قبل نكبة ١٩٤٨، وهو يشكّل المدرسة الشعرية الأولى في فلسطين، وبعد النكبة ظهر شعر المدرسة المتوسطية، وهو يتّصف بالبكاء والندب، ووصف مآسي النكبة وآلامها، ونقد المقصّرين بحق فلسطين وأهلها. ومما يجدر ذكره أنّ هذه المدرسة لم تُدخل تحويلاً جذرياً مُهِمّاً في الأشكال الشعرية المعروفة.

بعدئذ برزت المدرسة الشعرية الثالثة، وهي المتأثرة بالرومانسية والرمزية والواقعية الحديثة، عِلْماً أن ملامحها قد ظهرت قبل النكبة.

وتبيّن لي أن الشعر الحرَّ أخذ في الانتشار بغزارة وسرعة منذ الستّينات، ولا سيّما في الأرض المحتلة، وٱشتهر هذا الشعر بتحطيم وحدة البيت التقليدية في سبيل التسهيل على الشاعر والقارىء، باعتباره أكثر ملاءمة لظروف العصر، وأكثر تحلّلاً من الرتابة المملّة، ومن التقيّد بوزن وقافية،

يتكرّران في كلّ بيت من قصيدة الوزن الواحد، والتي قد تطول أحياناً، ويضطر الشاعر عندئذ إلى التكلف في آستحضار كلمات تتّفق والقافية.

وآتضح لي أن شعراء فلسطين أخذوا ينوّعون في قوافي القصيدة ذات الوزن الواحد، ثم راحوا بعد النكبة ينوّعون في بناء القصائد بين النظام التقليدي والقصيدة الحرّة. وتطوّرت الحال في القصيدة الحرّة إلى تنويع القوافي. فشهدنا القافية الحرّة المقطعية والقافية الحرّة المتغيّرة والقافية الحرّة المرسلة.

ومجمل القول أنه بالرغم من ظروف فلسطين الخاصة فإن الحركة الشعرية في هذا القطر قد شهدت تجديداً وتطوّراً هامين، وأنها ربطت الشاعر بواقعه، بأرضه وتراثه ونضاله، ومن ثم ربطت الشعر بالجماهير فبدا الالتزام واسعاً وجليّاً..، وتنوّعت القصائد بتنوّع موضوعاتها. ومن غير شك أن الشعر لعبَ دوراً هامّاً في مسيرة الجماهير والوطن، وبدا ذلك جليّاً في شكل القصيدة الحديثة ومضمونها.

١٨ ـ تناولتُ الشعر الفلسطيني بالدراسة والتحليل، وحدّدت أغراضه ومظاهر التجديد فيه، وأوضحتُ طوابعه والمكانة الكبيرة التي يحتلها في ديوان الشعر العربي، وألمحتُ إلى موقع شعر المقاومة الفلسطينية بالمقارنة إلى شعر المقاومة العالمي.

وبعد أن شهد الشعر الفلسطيني تجديداً وتطوراً مهمين على يد نخبة من شعراء المقاومة، فإن هؤلاء الروّاد فتحوا الأبواب مشرعة لمن يأتي بعدهم لمتابعة الطريق.

وتجدر الإشارة إلى أني اخترت أفضل نماذج من الشعر لأَبرزِ الشعراء الملتزمين، علّها تفي بالغرض المطلوب، وما كان يعنيني أن أسوق شعراً لكل

شاعر. ومن هنا لم يتسنّ لي ذكر أشعار أخرى كثيرة، وأسماء شعراء كثيرين نُجلُّهم، لا من قبيل الاستهانة ولا الجهل، ولا بسبب نكران دورهم، بل شعوراً مني بضرورة الاكتفاء بما يوضح ما أنا في صدده من الدراسة والتحليل والاستنتاج...

ومن الطبيعي أن البحث الأدبي يُثير كثيراً من التساؤلات، ويشحذُ هِمَمَ الكثير من الدارسين، مِمّا يحدوهم إلى طرْق أبواب عديدة، جديرة بالدراسة والتحليل.

ولا ريب في أن المجال واسعٌ أمام هؤلاء الدارسين للإحاطة بسائر شعراء فلسطين السابقين واللاحقين وألوان شعرهم.

ومن جهتي فقد بذلتُ جهوداً مضنية في البحث والتحليل، لبناءِ الهيكل العضوي الكامل للشعر الفلسطيني واتجاهاته، والجوانب التي تتصل به وخصائصها جميعها، ومن ثمّ تقويم هذا الشعر على مختلف الأصعدة، في قوالب مبتكرة ومدروسة، لم نعهدها له من قبل، وربطت بين بنية الشعر وغرضه على أسسٍ من الموضوعية والعاطفة الصادقة، مع الإشارة إلى معايشتي لهذا الشعب وقضيته، ومواكبتي لأدبه.

ولعلّ ما عرضته وبحثته وتوصلت إليه بالنظرة الفنيّة والبحث الموضوعي الجادّ يفسح في المجال أيضاً إلى دراسات جديدة في اتجاهات الشعر الفلسطيني، والآراء والأفكار التي انبثّتْ في ثنايا هذا البحث، علّها تكشف جوانب أخرى مهمّة ومفيدة، فتبلغ دراسة هذه الاتجاهات تمامها وكمالها.

وبالإضافة إلى ذلك كلّه فإني أود أن أدعو إلى هدفين مهمّين، أولهما: التفاعل مع قضية فلسطين وأهلها وخوض معركة التحرير وانتزاع الأراضي

المحتلة من براثن الصهيونية الباغية. وثانيهما: الارتقاء بالشعر الفلسطيني في الشكل والمضمون والالتزام، حتى يبلغ حدود الإبداع الفنّي، ويستجيب لملاحظات النقّاد الكرام، ويحظى بإعجابهم.

هذه صورة واضحة عمّا احتواه كتابي، ورغم أهميّتها، فإني لا أدّعي الإحاطة بكل شيء، إذ إنّ الكمال لله وحده، وأستميح القراء والباحثين الكرام العذر عن أي قصور غير مقصود، وأرجو أن أكون قد وفّقت في ما سعيتُ إليه، علَّ هذا البحث يفيد الباحثين ويكون إسهاماً متواضعاً في بناء صرح الأدب العربي المعاصر.

والحمد لله ربّ العالمين.

** ** **

obeikandl.com